المحاضرة الاولى

دولة المغول الإيلخانية

الاحتلال المغولي للعراق واسقاط الخلافة العباسية

أولاً: المغول واجتياح بلدان المشرق الإسلامي

هم قبيلة من أصل ٣٩ قبيلة تعود أصولهم إلى العنصر التركي فكانوا يعرفون بالترك الشيواي ثم بعد فترة من الزمن أطلقت عليهم تسمية المغول الصينيين، تمكن أحد أفراد هذه القبيلة من فرض سيطرتهم على بقية القبائل هذه الشخصية وأسمه تيموجين ين يوسكاي ولد سنة ٥٥٨هـ ويوسكاي كان زعيماً على قبيلة منغول توفي وخلفه ابنه تيموجين الذي كان عمره عند وفاة والده ثلاث عشر عاماً وبسبب صغر سنه تمرد عليه رجال قبيله وأخذ كل منهم يطلب السيادة لنفسه ولكن تيموجين وبدعم من والدته يويلون كافح من أجل الزعامة وتمكن بدعم من قبل أونك خان زعيم قبيلة الكرايت بفرض زعامته على قبيلته لكن بعد ذلك حدث خلاف بين تيموجين وأوونك خان وذلك بسبب التوسع في مناطق النفوذ لتقع الحرب بينهم وينتصر تيموجين ويفرض سطوته على بقية القبائل ووسع من مناطق نفوذه حتى غدا في نهاية القرن السادس الهجري ومطلع ق٧هـ الحاكم المطلق لمنغوليا وبهدف تنظيم حكمة على منغوليا وعلى شعبها دعا في سنة ٦٠٣هـ/١٢٠٥م إلى عقد مؤتمر عام ((القوريلتاي)) ودعا اليه كل القبائل الخاضعة لسلطته في منغوليا فتمخض هذا الاجتماع عن مجموعة بنود

١- تقرر فيه إعلان تيموجين زعيماً أوحد للقبائل ولقب بلقب جنكيز خان وجنكيز تعني ابن السماء وخان صفة للسلطة العليا.

٢- تعميم تسمية المغول على بقية القبائل واتخاذ قراقورم عاصمة لهم.

٣- نظم حياتهم اجتماعياً وسياسياً وعسكرياً من خلال اصداره دستور اطلق عليه الياسا أو اليساق ثم بعد ذلك دعا قبيلته التوسع شرقاً وغرباً شرقاً باتجاه الصين وغرباً باتجاه الدولة الخوارزمية.

وان دعوة جنكيز خان قبيلته التوسع شرقاً وغرباً وذلك لصرفهم عن الاقتتال الداخلي الذي كان يحدث بين أبناء هذه القبائل نتيجة الحصول على موارد العيش من الماء والكلأ وخاصة ان المنطقة التي كانوا يسكنوها وهي منغوليا كانت بيئتها قاسية انعكست على جفاء هؤلاء وقسوتهم وخاصة وان الاحوال المناخية كانت متذبذة فكانت درجات الحرارة صيفاً تصل إلى ٦٠° وشتاء إلى ٢٠° دون الصفر المئوي ونتيجة لهذه الظروف المناخية أراد جنكيز خان صرف أنظارهم عن هذا الاقتتال بالتوسع شرقاً وغرباً فاصطدم بامبراطورية الصين سنة ٦١٤هـ/١٢١٥م وحقق عليها الانتصار بعدها التف جنكيز خان إلى الغرب فقض على دولة القره خطائية وذلك سنة ٦١٥هـ/ ١٢١٦م حيث أصبح على تماس مع حدود الدولة الخوارزمية وبما أن جنكيز خان كان من الطراز المحارب والسياسي البارع فكان له اعتبارات سياسية تجاه المناطق التي يقدم على احتلالها فالمنطقة التي يقدم على احتلالها يرسل اليها مبعوث يطلب منها الولاء والتبعية وان وفي حال الرفض يعلن عليها الحرب ويدعوا إلى عدم المساس بالمبعوثين أو الاعتداء عليهم سواء كانوا سياسيين أو تجاراً ويطلب من صاحب الدولة الاقتصاص في حال الاعتداء على مبعوثيه ولأن السلطان علاء الدين الخوارزمي لم يلتزم بهذا الأمر لذلك أعلن جنكيز خان الحرب عليه لأنه رفض تسليم حاكم اترار وهو ينال خان والذي كان قد قتل التجار الذين كان قد ارسلهم جنكيز خان إلى هذه المدينة وزاد من الأمر سوء ان بعدما ارسل جنكيز خان إلى علاء الدين محمد يطلب

منه القصاص من ينال خان رد عليه بان قتل المبعوثين الذين كان قد ارسلهم جنكيز خان فالحرب اصبحت أمر لا مفر منه وكان علاء الدين غير مستعد لهذه المواجهة لأنه كان على خلاف مع الخلافة العباسية في عهد الناصر ومع والدته توركان خاتون ولذلك عندما هاجم جنكيز خان بلاده لم يبدي الاستعدادات العسكرية الصحيحة فأعطى لكل مدينة أوامره بان تدافع عن نفسها مقابل أن هدف المغول كان واحد هو الدولة الخوارزمية فقاد جنكيز خان حملته بتقسيم جيشه إلى وحدات عسكرية وضع على قيادتها من قبل شخصيات بارزة تعمل تحت قيادة جنكيز خان ومشاركة أولاده فسار المغول نحو مناطق بلاد ما وراء النهر فاحتلوا مدينة سمرقند ثم بخارى وأبادوا أهلها ودمروها وبعد ذلك توجهوا إلى اقليم خراسان فنجد السلطان علاء الدين لم يواجه المغول في خراسان وإنما فر هارباً من منطقة إلى أخرى حتى كانت نهايته في احدى جزر بحر قزوين سنة ٦١٧هـ/١٢١٩م تاركاً بعده ابنه جلال الدين منكبرتي في اعقاب احتلال المغول لخراسان الذين ما ان وصلتهم اخبار بان جلال الدين قد توجه إلى غزنه (احد مدن افغانستان) ببقايا الجند من الخوارزميين وارسل المغول فرقة من الجيش لتعقبه ولكن جلال الدين تمكن من انزال الهزيمة بهذه الفرقة المغولية فما كان من جنكيز خان حتى قرر هو بنفسه تعقب جلال الدين منكبرتي لكن من سوء حظ جلال الدين ان وقع الخلاف داخل قواته بالحصول على الغنائم التي كانوا قد غنموها من الفرقة المغولية التي حققوا الانتصار عليها في بداية الأمر فتمكن جنكيز خان من ملاحقته والحاق الهزيمة به فتوجه جلال الدين إلى الهند في الوقت الذي قرر جنكيز خان بالعودة إلى قراقورم لتنظيم أمور البلاد وتقسيم مناطق النفوذ بين أولاده ليتوفى بعد ذلك سنة ٦٢٤هـ/ ١٢٢٩م.

في هذه الفترة أعاد جلال الدين تجميع قواته المشتتة فكون منهم قوة تمكن بهم من القضاء على اتابكية اذربيجان فبقي في اذربيجان من ٦٢٢-٦٢٨ وبعدها بدأ المغول استئناف مواجهة جلال الدين منكبرتي ووصلوا تبريز وباغتوا جلال الدين ولاحقوه من منطقة إلى أخرى حتى وصل ميافارقين فقتل على يد أحد سكانها وذلك سنة ٦٢٨هـ/١٢٣٠م انتهت الدولة الخوارزمية. **ثانياً: الحالة العامة التي كانت عليها الخلافة العباسية في عهد آخر خلفائها المستعصم بالله:**

اوضاع الخلافة العباسية في عهد الخليفة المستعصم يمكن اجمالها بمجموعة نقاط

١- الخلافة كانت قد ادركتها الشيخوخة وانحلت الادارة وشغب الموالي.

٢- كان الخليفة المستعصم ضعيف الادارة قليل الخبرة كان يعتقد انه سيستطيع مواجهة خطر كبير مثل خطر المغول بالاعتماد على حصانة أسوار بغداد والجند لكن فشل في ذلك كذلك امسك الانفاق على الجيش وسرح الكثير من الجند وقطع رواتبهم كذلك زمام الأمور في بغداد لم تكن بيد واحدة بل كانت بيد سلطات متعددة متعارضة بين وزيره ابن العلقمي وقائد جيشه الدويدار بالإضافة إلى ذلك ان الأوضاع الاقتصادية كانت سيئة نتيجة انتشار الأمراض والأوبئة والفيضانات التي خربت كثير من الأراضي الزراعية مما زاد تدهور الحالة الاقتصادية للفلاح هذه الأوضاع بمجملها استغلها المغول للتوجه إلى بغداد واحتلالها.

ثالثاً: حملة هولاكو على بغداد واسقاط الخلافة العباسية:

في سنة ٦٤٩هـ/ ١٢٥١م جهز منكو خان حملة مغولية كبرى لاحتلال العراق واسقاط الخلافة العباسية فيها، وأعطى قيادتها لأخيه هولاكو الذي انطلق بجيشه على رأس الحملة من

العاصمة قراقورم وضمت الكثير من الأمراء ابناء وأحفاد جنكيز خان مما يدل على تصميم المغول على الاستمرار في سياستهم العدوانية وتشير إلى أهمية الحملة أيضاً. سار هولاكو على مهل من منغوليا سنة ٦٥١هـ/١٢٥٣م واستغرق سيره عَبر بلاد ما وراء النهر حوالي الثلاث سنوات ثم حاصر قلاع الاسماعيلية وقضى عليهم سنة ٦٥٥هـ/ ١٢٥٧م وبذلك فتح الطريق امامه لمهاجمة العراق واحتلال بغداد. وفي بداية المحرم من سنة ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م دخل حدود العراق ونزل على بعقوبا يوم ٩ من المحرم وفي اليوم الحادي عشر من الشهر نفسه بدأت عمليات حصار بغداد من جميع الجهات. وكان يشرف على الحصار فضلاً عن هولاكو كبار قادته وكان جيشه يقرب من مائتي الف مقاتل. وقد تم الحصار على وفق خطة محكمة، وأقاموا سوراً مشرفاً على سور بغداد كما حفروا حوله خندقاً ونصبوا آلات الحصار على هذا السور التي أخذت تدك بغداد بالحجارة التي جلبوها من جبال حمرين أو بقطع أشجار النخيل.

وعلى الرغم من محاولة الخليفة الاستنجاد بالقوى الإسلامية فإن أحداً لم ينجده بل على العكس كان هناك قوى إسلامية عاونت المغول في هجومها على العراق ومحاصرة بغداد وخاصة من بلاد فارس مثل حاكم اقليم فارس الاتابك أبي بكر وكذلك مظفر الدين تكلة حاكم لورستان، كما ان بدر الدين لؤلؤ حاكم الموصل ساعد المغول بقوة قوامها الف فارس بقيادة ابنه الملك الصالح ركن الدين اسماعيل إلا أنها وصلت متأخرة بعد احتلال بغداد، كما ان قوة قوية من الجورجيين كانت تعاون المغول أيضاً.

وبعد قتال شديد استطاع المغول من فتح ثغرة في برج العجمي من سور بغداد ثم تدفقوا على بغداد وسيطروا على أسوارها يوم ٢٨ المحرم بعد حصار دام قرابة الاسبوعين وقد وجد الخليفة لا

جدوى من القتال فأرسل إلى هولاكو طالباً الأمان لنفسه ولأهل بغداد، إلا أن هولاكو لم يجبه إلى ذلك. وفي الرابع من صفر خرج الخليفة إلى هولاكو مستسلماً فطلب منه هولاكو أن يأمر أهل بغداد بوضع اسلحتهم والكف عن القتال وليخرجوا خارج الأسوار لاحصائهم، وفعل ذلك الخليفة فألقى الناس اسلحتهم وصاروا يخرجون فقتلهم المغول جميعاً. وبدء المغول النهب باستباحة بغداد يوم الاربعاء السابع من صفر من سنة ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م ونهبها وحرقها وقتل كل من يصادفهم من أهلها واستمر النهب والسلب والقتل لمدة اختلف المؤرخون فيها فمنهم من جعلها سبعة أيام وآخرون يقدرونها بارعين يوماً.

وقد اختلف المؤرخون في عدد القتلى فبعضهم جعل العدد ثمانمائة الف قتيل وآخرون يقدرون العدد بحوالي المليونين، ولكن على الأرجح ان العدد لا يتجاوز الثمانين الفاً وقد نجا من القتل كل من كان على صلة بالمغول كبعض التجار والاداريين وأهل الذمة. كما ان دار الوزير مؤيد الدين بن العلقمي ابقى عليها وسلم فيها خلق كثير وكذلك دار صاحب الديوان ابن الدامغاني ودار صاحب الباب ابن الدوامي. وكان هؤلاء على صلة جيدة بهولاكو ومتواطئين معه على تسليم بغداد لقاء الابقاء على حياتهم ومناصبهم، وقد وفى لهم هولاكو بذلك. وفي الرابع عشر من صفر سنة ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م رحل هولاكو عن بغداد باتجاه بعقوبة وذلك بسبب انتشار الأوبئة والروائح الكريهة بسبب كثرة القتلى، فنزل في اطراف بغداد وهناك قتل الخليفة المستعصم بالله آخر الخلفاء العباسيين مع أولاده وحاشيته، وقد وضع في غرارة ثم رفسوه بالأرجل حتى مات. وهذه عادة مغولية يتبعونها في تنفيذ حكم الاعدام بعظمائهم وذلك لأنهم يؤمنون بأن الروح تسكن في الدم فإذا

أريق الدم فان القاتل يصبح عبداً لروح المقتول، فعندما يبعث المقتول في حياة الآخرة فإنه يبعث وهو سيداً لقاتله، ولهذا نرى المغول اتبعوا سياسة عدم إراقة دم العظماء عند قتلهم.

وقد خلت بغداد من معظم اهلها وهذا ديدن المغول في كل مدينة تظهر مقاومتهم فانهم يبيدون اهلها قتلاً وأسراً وتشريداً وحرقاً لتكون عبرة لغيرها من المدن حتى لا تقاوم غزوهم، وهذه الستراتيجية العسكرية اتبعها المغول منذ عهد جنكيز خان، وكانت سياسة ناجحة فقد ادخلت الرعب في قلوب الناس شرقاً وغرباً منهم وأصبح الدمار والخراب والموت مرافقاً لاسم المغول.

أما الحلة والكوفة فقد سار وفد من أهلها حاملاً معه الكثير من الهدايا والمال إلى هولاكو وسألوه حقن دمائهم فاجاب سؤالهم وعين لهم شحنة فعاد الوفد ولم يتعرض المغول لهاتين المدينتين. أما واسط فقد قاومت المغول فقام قائد الجيش المغولي بوقاتيمور بمحاصرتها ثم دخلها عنوة وذبح أكثر من اربعين الفاً من أهلها. كما قاومت أربل حصارهم وحتى بعد أن سلم ابن الصلايا حاكمها المدينة إلا أن القلعة ظلت تقاومهم فعجز المغول عن أخذها فاستعانوا ببدر الدين لؤلؤ حاكم الموصل التابع لهم والذي قام بمحاصرتها ثم أخذها وهدم اسوارها وأصبحت تابعة له. أما الموصل فقد نجت من هذا المصير في عهد بدر الدين لأنه دخل في طاعة المغول ومنذ وقت مبكر.

المحاضرة الثانية

دولة المغول الايلخانية في إيران وبلاد القفقاس والعراق وتغلغل النفوذ الإسلامي في إدارتها:

أولاً: قيام دولة الغول الايلخانية:

توجه هولاكو بعد أن احتل العراق واسقط الخلافة العباسية في بغداد سنة ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م نحو اقليم اذربيجان الواقع في بلاد القفقاس ليقيم فيه حكومته، متخذاً من اقليم اذربيجان مركزاً لدولته ومدينة مراغة عاصمة لحكومته.

أما سبب اختيار اقليم اذربيجان مركزاً لدولته فيرجع إلى أن هذا الاقليم يتوسط البلدان الخاضعة لدولته والممثلة ببلاد ايران والقفقاس والعراق، فهذا الموقع سيمنح حكومته الحصانة الدفاعية ضد أية استهداف لأية قوة خارجية لمركز دولته اذربيجان فهي بعيدة عن أخطار دولة المغول الجغتائيين شرقاً والذين كانوا يحكمون بلاد ما وراء النهر وعن دولة مغول القفجاق الذين يحكمون ما وراء جبال القفقاس الشمالية جنوب بلاد الروس كما انها بعيدة عن بلاد الشام التي كانت تحكم من قبل دولة المماليك في مصر البعيدة عن هذا الاقليم.

كما أن اقليم اذربيجان يعد مركز لتجارة الشرق والغرب أو ما يعرف بطريق الحرير، وهذا الطريق الذي تسلكه القوافل القادمة من بلاد الصين يتفرع عند وصوله إلى اقليم اذربيجان إلى ثلاث طرق سالكه احدها يتجه إلى الشمال إلى روسيا والثاني منه يتجه إلى بلاد الانضول ومنه إلى أوربا والثالث إلى العراق وبلاد الشام.

أما سبب إختيار مراغة عاصمة لدولته فيرجع إلى أن هذه المدينة كانت ولاتزال تشكل موقعاً ستراتيجيا على الطرق الرابطة بين أقاليم الشمال القفقاسي واقاليم شمال غرب ايران ومن الشرق مع

اقليم الجزيرة الفراتية، فضلاً عن أن الأراضي المحيطة بهذه المدينة تمتاز بخضرتها وكثرة مراعيها وبساتينها التي تتلائم مع بيئة المغول الرعوية.

وبعد هذا الاختيار نشط هولاكو في اعمار المدينة وبنى له القصور وإعادة تشكيل هيكلية دواوين حكومته وعين لإدارتها رئيس الديوان ((الوزير)) والولاة والموظفين وجميعهم تولوا مسؤولية إدارة الدولة التي اطلق عليها المؤرخين تسمية دولة المغول الايلخانية وهذه الدولة تشمل كل من بلاد إيران والقفقاس والعراق وشرق الاناضول.

ثانياً: تغلغل النفوذ الإسلامي في إدارة دولة المغول الإيلخانية:

احتل الايلخان رأس الهرم في سلطة دولة المغول الايلخانية، والايلخان هو اللقب الذي اطلق على حكام هذه الدولة وتعني نائب الخان الأعظم الذي كان رأس امبراطورية المغول.

وتقع على الايلخان مسؤولية اختيار الشخصيات المناسبة ذات الكفاءات العالية في إدارة الدولة، وبما أن المغول افتقدوا من قبل الخبرة الإدارية في إدارة الدولة لكونهم كانوا بدواً رحل، وبعد تمكنهم من اسقاط الكثير من الدول في المشرق الإسلامي وإقامة امبراطورية لهم، كانوا بأمس الحاجة إلى الكفاءات الإدارية لهذه الدولة لغرض الاستعانة بهم في إدارة دولتهم، ولذلك زج الكثير من الكفاءات الإدارية الإسلامية في إدارة دولتهم ومن هنا بدأ تغلغل النفوذ الإسلامي في إدارة إمبراطورية المغول التي كانت دولة المغول الإيلخانية جزءاً من هذه الامبراطورية.

والإيلخان هولاكو استعان بالكفاءات الإسلامية في إدارة دولته وهذا ما سنلاحظه بوضوح في الجهاز الإداري الذي أقامه هولاكو لدولته والذي يكون منصب الوزير على رأس هذا الجهاز والذي

يسمى أيضاً بصاحب ديوان الممالك الذي كانت تقع على مسؤوليته إدارة دواوين الدولة وهذه الدواوين هي:

١- ديوان الجند: وكانت مسؤوليته رئيس هذا الديوان بتسجيل اسماء الجند والقادة وتثبيت مقدار رواتبهم السنوية، ومكان رعي خيولهم ومعسكراتهم، وكل ما يتعلق بشؤون العسكر من سلاح وميرة.

٢- ديوان الانشاء: وصاحب هذا الديوان يتولى مسؤولية كتابة المراسيم والرسائل الصادرة من الايلخان بأنواعها المختلفة، وتقع على صاحب هذا الديوان مسؤولية المعرفة الكاملة بفنون الكتابة، وتعدد اللغات، وان يكون له سجل يثبت فيه كل صادر ووارد وحفظها، وجميع من تولى إدارة هذا الديوان كانوا مسلمين وأشهرهم سعد الدين الساوجي.

٣- ديوان الاستيفاء: ومهمة صاحب هذا الديوان تحديد مقدار الأموال التي تدخل خزينة الدولة والتي تخرج منها، وتحديد مقدار الضرائب بأنواعها، ومراقبة متحصليها، وصاحب هذا الديوان والعاملين معه يجب أن يكونوا على دراية بالأمور الاقتصادية وجغرافية الأماكن وطبيعة المزروعات، وكل ما يتعلق بالشؤون المالية وأشهر من تولى هذا الديوان مجد الملك وعلاء الدين الفريمودي.

٤- ديوان البريد ومهمة المسؤول عنه تسهيل انتقال مبعوثي الايلخان وحاملي الرسائل والسفراء، وتجنب اعاقتهم أو تأخيرهم وكذلك الاشراف على المحطات البريدية وتمويلها بما تحتاج إليه من مؤن لمستخدميها وتوفير الجياد الأسرع وما تحتاجه من أعلاف وتخصيص الأفراد القائمين على خدمتها وحمايتها.

٥- ديوان القضاء ويتكون هذا الديوان من هيئة قضائية يترأسها قاضي القضاة ومهمته الاشراف على الفصل في الخصومات وأمور الزواج والطلاق والميراث وحقوق اليتامى والقاصرين وكان يساعد القاضي الشهود العدول. وكان لكل ديوان مبنى خاص به لإدارة شؤونه.

أما عن دور المسلمين في إدارة شؤون هذه الدولة فلا يمكن تغطيتها بشكل كامل لضخامة اعداد من اشتراك من المسلمين في إدارتها ولكن سنكتفي في الإشارة إلى البعض منهم ويأتي على رأس هؤلاء عائلة الجويني.

تعد عائلة الجويني خير مثال على ان ابنائها قد تولوا رئاسات الجهاز الإداري في دولة المغول الايلخانية لاسيما ديوان المال والانشاء فضلاً عن منصب الوزارة أو كما يطلق عليه اسم صاحب ديوان الممالك وقد اصبحت هذه الوظائف أشبه ما تكون بالميراث يرثها الأبن عن الأب فقد تولى ديوان المال بهاء الدين الجويني وورثها من بعده ابنيه شمس الدين وعلاء الدين.

التحق شمس الدين محمد وأخيه علاء الدين بوالدهما في تولي الأمور الإدارية وشؤون الديوان كما هو الحال في تقاليد الأسرة، وبعد تقاعد بهاء الدين عن الديوان استخلفه أبناؤه وصاروا أحذق وأبرع أهل الديوان في عصرهم، وأداروا الدولة الايلخانية لأكثر من ثلاثين سنة بكفاءة وامتياز.

كان شمس الدين الذي تولى منصب الوزارة لمدة ثلاثين سنة الشخصية الثانية بعد الايلخان في الحكم، وسعى شمس الدين خلال فترة حكمه إلى تنظيم مؤسسات الدولة وإعادة تشكيل دواوينها وتوظيف الكفاءات المسلمة في إدارتها، واكرم الشعراء والكتاب واهتم بشؤون الاعمار وتخفيف الضرائب على الرعية كما اصدر عملة نقدية عليها عبارة (لا إله إلا الله ومحمد رسول الله).

أما أخيه علاء الدين الجويني فقد تولى شؤون حكم العراق، وتمتع بشبه استقلالية في الحكم بدعم من أخيه شمس الدين والايلخان فنظم الشؤون الإدارية والثقافية في ولايته، وكان معظم الموظفين في ادارته من المسلمين واستعادت بغداد على عهده عافيتها ورونقها فخلال فترة حكمه التي دامت عشرين عاماً من خلالها العديد من الاسواق والمحلات التجارية والحدائق وبناء المساجد والجوامع وترميم المدرسة المستنصرية وعدد من المدارس ودور العلم والمشاهد والحمامات ونظم اكتاف نهر دجلة وبنى لنفسه قصراً رائعاً وألحق به الحدائق الجميلة، ولكثرة ما حدث في بغداد من اعمار وازدهار قيل ان بغداد شهدت في عهده اعمار أكثر مما كان في العصر العباسي.

وحركة الاعمار لم تتوقف عند حدود بغداد بل امتدت إلى الأطراف وباقي المدن العراقية، كما أمر بشق قناة نهرية من الفرات ليروي الأراضي الممتدة من الأنبار إلى الكوفة والنجف واقام على ضفافها مائة وخمسين قرية لتنتعش بذلك الزراعة في هذه المنطقة، كما أمر ببناء بلدة على نهر جعفر من أعمال واسط سماها المأمن والحق بها جامعاً وخاناً وحمامات وسوقاً ومدرسة وسكنها خلق كثير.

ولتسهيل حركة التجارة ضرب على يد الفاسدين ومنع تزييف العملة وأمر بإنشاء، دار للسكة تحت اشرافه وشدد على رقابة الموازين واعاد العمل بنظام الحسبة وربط هذه الوظيفة بالقضاء. كما شهد عهده إنشاء بعض الجسور لتسهيل حركة النقل والتجارة، كما انه أمن طريق الحج وتصدى لحركة الالحاد واقتص بالقتل من مناصريها.

أما نواب الخان أو الايلخان فكان معظمهم من المسلمين وبعض هؤلاء كانوا من ابناء عائلة الجويني ومنهم بهاء الدين بن الوزير شمس الدين الجويني الذي تولى إدارة اقليم بلاد الجبل الواقع في شمال غرب إيران كما فوض اقليم خراسان إلى أمير مسلم واقليم كرمان إلى الأميرة المسلمة تركان خاتون واقليم غرجستان الواقع في شمال شرق إيران إلى شخصية مسلمة اسمه شمس الدين أما ولاية سلاجقة الروم في بلاد الأنضول فأسندت إدارتها إلى معين الدين بروانة والموصل لهارون وجميع هؤلاء النواب الذين تولوا إدارة الدولة الايلخانية كانوا مسلمين يتلقوا التعليمات المباشرة في عملهم من الوزير شمس الدين.

وعلى عهد خلفاء هولاكو من الايلخانات الذين حكموا الدولة الايلخانية بقي المسلمين هم من تولوا إدارة الدولة فجميع من تقلد منصب الوزارة في دولة المغول الايلخانية كانوا مسلمين باستثناء سعد الدولة اليهودي والأمر ينطبق كذلك بالنسبة للنواب على الولايات وموظفيهم.

أما الشؤون العسكرية وقادة الجيش فقد حصرها الايلخانات بالعنصر المغولي خوفاً من حدوث حركة تمردات وثورات ضد المغول من السكان المحليين الذين كانت غالبيتهم من المسلمين.

وأخيراً نستنتج من هذا السرد التاريخي أن المسلمين والبلاد الإسلامية التي احتلها المغول وأقاموا عليها دولتهم، فقد تمكنت الكفاءات الإدارية المسلمة من الاستحواذ على معظم المناصب الإدارية فيها وهذا طبعاً خفف من حدت العداء المغولي وبجهود هؤلاء أعيد اعمار بلادهم وبتأثيرهم بدأ المغول تدريجياً وعلى مراحل اعتناق الدين الإسلامي.

ثالثاً: مراحل تحول دولة المغول الايلخانية رسمياً إلى الإسلام:

المرحلة الأولى: على عهد أحمد تكودار:

على الرغم من أن معظم الإداريين الذين كانوا يديرون أعمال دولة المغول الايلخانية من المسلمين إلا أن المغول وخاناتهم لم يعتنقوا الإسلام وبقوا على وثنيتهم حتى تقلد تكودار بن هولاكو منصب الايلخانية سنة ٦٨٠هـ/ ١٢٨٢م.

عرف عن تكودار قبل تقلده منصب الايلخانية انه كان شديد الميل إلى الإسلام بحكم اختلاطه مع بعض المشايخ والعلماء المسلمين وبعد أن تقلد منصب الايلخانية نصحه المقربين منه ومنهم الوزير شمس الدين الجويني وبعض العلماء بضرورة اعتناقه الإسلام وان ذلك سيعزز من مكانته بين المسلمين وهذا ما استجاب له فأعلن اسلامه وسمى نفسه بأحمد تكودار.

وقد أحسن تكودار اسلامه وصار على نهج المسلمين والتزم بعقيدة وتعاليم الإسلام ومبادئه وأرسل إلى فقهاء بغداد من أجل الاستفادة من علمهم، وأصدر أوامر بتطبيق الشريعة الإسلامية، واعلاء كلمة الحق.

أما عن أبرز ما قام به أحمد تكودار من أعمال بعد اعتناقه الإسلام، فقد طبق الشريعة الإسلامية وحاول إقرار العدل وخفف التوتر بين دولته ودولة المماليك في مصر.

كما حول المعابد البوذية إلى مساجد وضيق على أهل الذمة وألزمهم بلبس الزنار حتى يميزهم عن المسلمين وأقر عليهم الجزية وبنى تكودار الجوامع والمساجد ورتب مراتب القضاة وأهتم بكافة شؤون المسلمين.

كما حاول أحمد تكودار الذي لقب نفسه بلقب سلطان بدلاً من ايلخان لأن لقب سلطان هو لقب إسلامي، فحاول جاهداً ان يحول كافة المغول في دولته إلى الإسلام، ولكن وجد منهم إصراراً على التمسك بديانتهم الوثنية، لابل المغول من أبناء قومه تصدوا له بسبب اعتناقه الإسلام واعتبروه خارجاً على تقاليدهم وديانتهم فتآمروا عليه وتزعم المؤامر ابن أخيه أرغون بن أباقا وكبار قادته من المغول ونجحوا في الايقاع به وقتله سنة ٦٨٢هـ/ ١٢٨٤م وبعد مقتله عانى المسلمون كثيراً من اضطهاد المغول لهم.

المرحلة الثانية: اعتناق غازان الإسلام واعتبار الإسلام دين الدولة الرسمي والقرارات التي ترتبت على ذلك:

عانى المسلمون كثيراً في عهد أرغون الذي تقلد منصب الايلخانية بعد مقتل أحمد تكودار وكذلك في عهد الايلخان كيخاتو والايلخان بايدو وكان هذين الايلخانيين من أشد اعداء المسلمين، واستمر عهدهم بالاضطهاد حتى تقلد غازان منصب الايلخانية سنة ٦٩٤هـ/ ١٢٩٥م.

بدأ غازان عهده بإعلان اسلامه بتأثير من الأمير نوروز الذي كان مسؤولاً عن تربية غازان في صباه وبتأثير أيضاً بعدد من العلماء والفقهاء المسلمين الذين كان غازان يتواصل معهم. وكان اسلام غازان حداثاً كبيراً كما كان يوم نطقه بالشهادتين يوماً مشهودا

المحاضرة الثالثة

القرارات التي اتخذها غازان بعد إعلانه الإسلام ديناً رسمياً لدولته:

١- كان أول قرار اتخذه غازان بعد تسلمه منصب الايلخانية واسلامه بأن أعلن بمرسوم رسمياً بأن الإسلام الدين الرسمي لدولة المغول الايلخانية وأنه لقب نفسه باللقب الإسلامي بالسلطان بدلاً من الايلخان، كما أنه قطع سلطته وتبعيته بامبراطور المغول والاستقلال التام عن قراقورم عاصمة المغول الأولى.

٢- كما ألزم المغول من بني جنسه على أن يعلنوا اسلامهم والا السيف سيقع في رقابهم، فدخل الجميع الإسلام وإلتزم الكثير منهم بمبادئ الشريعة الإسلامية.

٣- أرسل غازان إلى كل الأرجاء والبقاع في مملكته يبطل الديانة البوذية وعبادة الاوثان وأمر بتخريب معابدها وتحطيم الأصنام.

٤- ألزم غازان أهل الذمة بشد الزنار في وسطهم واليهود بوضع خرقة صفراء في عمائمهم ودفع الجزية.

٥- ألزم المغول في دولته بترك القوانين والعادات القديمة التي لا تتماشى مع الإسلام والالتزام بما جاء في القرآن والسنة النبوية.

٦- شجع على بناء المساجد وإقامة الشعائر الدينية ومجالس العلم وبناء المدارس.

٧- وضع مجموعة من القوانين والقواعد التي نظمت شتى مناحي الحياة.

إصلاحات غازان:

أحدث غازان جملة اصلاحات في دولة المغول الايلخانية يمكن ايجازها بالنقاط الآتية:

١- أصلح نظام الضرائب فبعد أن كان المشرفين على الضرائب يقومون بفرضها عشر مرات في السنة أمر غازان بأن تجمع مرة واحدة في العام وحارب الفساد المالي.

٢- عمم غازان سنة ٦٩٨هـ/ ١٢٩٨م مرسوماً يأمر فيه بالنهي عن الربا وأمر بعقاب من يعصي الأمر.

٣- منع غازان الغش والتلاعب بأوزان العملة وأمر بأن يكون عيار العملة الذهبية والفضية تسعة أعشار.

٤- توحيد المكاييل والمقاييس التي كانت تختلف من مكان إلى آخر.

٥- أعاد تخطيط حدود الولايات ووضع قوانين جديدة للإدارات تعتمد على الكفاءات ومحاسبة المقصرين.

٦- أمن غازان طرق التجارة وأمسك بقطاعي الطرق ووضع مراقبين على سلامة الطرق.

٧- اعاد تنظيم البريد والعمل على الاسراع ينقل الرسائل والمبعوثين الرسميين.

٨- دعم المؤسسات الخيرية والأوقاف وأمر بإعالة الشيوخ والمسنين وذوي العاهات وإغاثة المحرومين والصرف عليهم من خزينة الدولة.

علاقة غازان مع المماليك

على الرغم من اعتناق غازان الإسلام لكن هذا الامر يكن رادعاً له عن تحقيق هدفه بالاستيلاء على بلاد الشام ومصر وذلك من خلال شن عدد من الحملات ضد الدولة المملوكية في الشام ومصر منها.

١- موقعة مجمع المروج سنة ٦٩٩هـ/١٢٩٩م

غادر غازان عاصمته تبريز على رأس قوة كبيرة واضعاً في مقدمتها قتلغ شاه فعبر نهر الفرات وانضم إليه الملك الأرميني هيثوم الثاني على رأس قوة مؤلفة من ٥٠٠٠ مقاتل فوصلت أنباء الزحف المغولي إلى مصر التي كانت تعاني من فوضى سياسية نتيجة الصراع بين الامراء وتدبير طائفة الاويرانية مؤامرة ضد الناصر لأقصاء عن الولاية وتنصب زين الدين كتبغا المغولي الأصل على السلطة لكن الناصر استطاع احباط المؤامرة واستأنف يجهز قواته وتقدمه حتى تم اللقاء عند مجمع المروج شرق حمص حيث دارت بينهم المعركة اسفرت عن هزيمة المماليك وانتصار المغول فغادر الناصر ارض المعركة إلى دمشق تاركا كمية من الغنائم للمغول.

عوامل انهزام المماليك

١- تفوق عدد جند المغول على المماليك.
٢- ضعف سلطة الناصر نتيجة المؤامرة التي دبرت ضده من امرائه.
٣- انهاك الرجال والدواب نتيجة سرعة انتقال الجيش.
٤- فشل الخطة العسكرية بضرب الميمنة مما ثبت غازان نفسه في القلب وهجم على قلب الجيش المملوكي.

معركة شقحب وهزيمة الجيش المغولي في بلاد الشام:

على الرغم من أن غازان حقق نصراً كبيراً على المماليك في حملته الأولى سنة ٦٩٩هـ/١٣٠٠م غير انه فشل في الاحتفاظ بها، ولذلك صمم على غزو بلاد الشام ثانية بهدف ضمها لدولته، فجهز في جمادى الاخر سنة ٧٠٢هـ/١٣٠٣م جيشاً جراراً وأوكل قيادته لقائد جيشه قتلغ شاه الذي دخل شمال العراق ومنه عبر نهر الفرات إلى بلاد الشام، وما أن علم السلطان المملوكي الناصر محمد بالأمر حتى جهز جيشاً وأرسل في مقدمته الأمير بيبرس الجاشنكير الذي اسرع الدخول إلى بلاد الشام من مصر فوصل دمشق، ورتب الأوضاع العسكرية فيها، استعداد لمواجهة قتلغ شاه.

وكان قتلغ شاه أثناء ذلك قد وصل إلى مدينة حماه، وارسل فرقة عسكرية من اربعة الاف مقاتل لاطراف مدينة حمص بهد القتل والنهب وانزل الرعب بالسكان فتصدى لهم نائب طرابلس في موضع عُرض، ومته الف وخمسمائة مقاتل وأخذهم على حين غرة، منزلاً بهم هزيمة ساحقة، ووقع ألف وثمانمئة مقاتل مغولي في الاسر بالإضافة إلى مائة وثمانين من الارمن المتحالفين مع المغول، وكان لهذا الانتصار الاثر الكبير في رفع معنويات الجيش المملوكي وشجعهم على قتال المغول.

أما قتلغ شاه فإن الخسارة التي لحقت بالقوة المغولية لم تردعه بل واصل هو تقدمه ووصل إلى مدينة حمص، وأرسل سرايا من قواته إلى بعلبك فعاثوا فيها خرابا، وثم واصل بعد ذلك قتلغ شاه تقدمه فوصل إلى مشارف مدينة دمشق، فإضطرب أمر الناس، وغرقت المدينة في بحر من الفوضى.

وخلال ذلك وصل السلطان الناصر محمد مدينة دمشق وإلتقى بالعساكر الشامية وقادتها الذين كانوا قد تجمعوا فيها وعقد معهم اجتماعاً قرر فيه لقاء العدو بشقحب الواقعة بأرض مرج الصفر، فما كان من قتلغ شاه إلا أن وجه جيشه إلى شقحب لملاقات جيش السلطان المملوكي الناصر الذي كان قد أحسن تعبئة جيشه ومعه الكثير من علماء الدين الذين كانوا يحثون المقاتلين على الجهاد والصبر في المعركة.

وما أن إلتقى الجيشان حتى دارت بينهما معركة طاحنة استمرت يومين أبلى الجيش المملوكي بلاءً حسناً، فتم لهم النصر المؤزر، فقتل في المعركة أعداد كبيرة من المغول واسر الكثير منهم، وطارد المنتصرون فلول المنهزمين حتى مدينة الرحبة على نهر الفرات مخلفين ورائهم اعداد أخرى من القتلى، كما غرق اعداد كبيرة من المغول المنهزمين عند عبورهم نهر الفرات، ولم يصل من بقايا الجيش المغولي إلى غازان سوى واحد من عشرة بمعنى أن تسعة اعشار جيشه اما قتل او اسر.

وبهذا الانتصار ابتهج اهل الشام فلم يعد بعد ذلك اية حملة مغولية على بلاد الشام، واخذت الاحتفالات تعم مختلف ارجاء الدولة المملوكية في بلاد الشام ومصر.

اما وقع الهزيمة على غازان فكانت بمثابة كارثة حلة به وبجيشه الذي لم يسبق له أن ذاق طعم الهزيمة، وازداد غضبه حين وصل إليه كتاب من السلطان المملوكي يحقر من شأنه ويسخر منه، ودفع الحزن بغازان إلى أن ينزل العقاب بقادته بما فيهم قتلغ شاه، وكانت هذه الهزيمة ايذاناً بأفول نجم غازان، وسبباً لموته بعد ذلك كمداً.

رابعاً: الدولة الإيلخانية في أواخر عهدها وإنهيارها

أعقب غازان على حكم الدولة الايلخانية اثنان من الخانات هما محمد خدابندا ((أولجايتو)) الذي حكم للفترة من ٧٠٣-٧١٦هـ/١٣٠٣-١٣١٦م)) وأبو سعيد بها درخان الذي حكم من سنة ٧١٦-٧٣٦هـ/ ١٣١٦-١٣٣٥م، ولم تستقر أوضاع الدولة على عهد هذين الحاكمين بسبب الصراعات السياسية على السلطة وكثرة المؤامرات والدسائس وما صاحب ذلك من تدهور اقتصادي أثر بشكل كبير على ميزانية الدولة التي أصبحت خاوية فضلاً عن الاطماع الخارجية من قبل مغول القفجاق وما سبب ذلك من حروب بينهما وكان آخرها سنة ٧٣٦هـ/ ١٣٣٥م والتي فيها قاد أبو سعيد جيشه لمواجهة تغلغل جيش مغول القفجاق في اراضي دولته من جهة شمال القفقاس وعند المواجهة توفي أبو سعيد لمرض لأزمه وكانت وفاته ايذاناً بانهيار دولة المغول الايلخانية بسبب نشوب الخلاف بين الأمراء حول منصب الايلخانية فدخلت الدولة في حروب داخلية كان من نتائجها ان تجزأت البلاد إلى دويلات مدن تحكمها الأسر المحلية أما العراق فقد تمكن الأمير الشيخ حسن الجلائري من تأسيس دولة مستقلة فيه ولتتوسع بعد ذلك لتشمل مناطق نفوذها غربي إيران واذربيجان.

المحاضرة الرابعة

الدولة الجلائرية

قامت الدولة الجلائرية في أعقاب انهيار دولة المغول الايلخانية بعد وفاة الايلخان أبو سعيد سنة ٧٣٦هـ/ ١٣٣٥م، حيث تمكن الشيخ حسن الجلائري بعد سلسلة من الحروب بينه وبين غيره من الأمراء الطامعين بالسلطة من احتلال بغداد واتخذها عاصمة لدولته سنة ٧٤٠هـ/ ١٣٣٩م ومنها نظم شؤون دولته والتي توسعت على عهده لتشمل كل من العراق وديار بكر وغربي إيران.

ينتمي الشيخ حسن إلى قبيلة جلاير المغولية، وكان جده عند أمراء المغول، وعائلته سبق أن خدمت المغول الإيلخانيين، والشيخ حسن الجلائري الذي يعتبر مؤسس الدولة الجلائرية بعد أن أعلن استقلال دولته خاض سلسلة من الحروب ضد عدد من الإمارات كالمظفرين في إيران والجوبانيين في اذربيجان واللتين قامت امارتهما على انقاض دولة المغول الإيلخانية واللتان كانت لهما أطماع بالدولة الجلائرية وتمكن الشيخ حسن الجلائري من احراز النصر النهائي عليهما وطردهما خارج حدود بلاده، وذلك سنة ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م.

ومن نتائج استقلال الشيخ حسن الجلائري في العراق نوجزها بالنحو الآتي:

١- سعى الشيخ حسن الجلائري العمل على الاندماج بالمجتمع العراقي بصورة كلية في إدارة شؤون دولته.

٢- تقرب إلى القبائل العربية وبخاصة آل فضل ربيعة الطائي وكتب لهم تقليداً بالإمارة على العرب.

٣- ضرب السكة باسم دولته.

٤- استعاد العراق على عهده نشاطه الاقتصادي والازدهار التجاري وشهدت البلاد حركة واسعة لإنشاء المدارس والمكتبات ودور العلم والمستشفيات من قبل الحكام والميسورين من العراقيين، وشرع طلاب العلم بالتردد إلى بغداد من الأقطار الإسلامية الأخرى.

٥- كما استعاد العراق شيئاً من قوته العسكرية.

٦- وعلى عهده وثقت العلاقة بين دولته ودولة المماليك في مصر وبلاد الشام.

استمر الشيخ حسن الجلائري في الحكم حتى وفاته سنة ٧٥٧هـ/ ١٣٥٦م.

الدولة الجلائرية على عهد أويس بن الشيخ حسن الجلائري:

تولى أويس بن الشيخ حسن الجلائري حكم الدولة الجلائرية سنة ٧٥٧هـ/ ١٣٥٦م في أعقاب وفاة والده وتلقب بلقب سلطان، وقد شهدت البلاد لاسيما العراق على عهده حالة من الاستقرار النسبي، وبقيت بغداد محتفظة بأهميتها السياسية كعاصمة للدولة الجلائرية حتى سنة ٧٦٠هـ/ ١٣٥٨م، وخلال هذه الفترة تمكن أويس من احتلال اقليم اذربيجان.

إرتكب السلطان أويس خطأ كبير عندما أقدم سنة ٧٦٠هـ/ ١٣٥٨م على نقل العاصمة لدولته من بغداد إلى مدينة تبريز الواقعة في اقليم اذربيجان، وقد ترتب على اجرائه هذا أن تخلى عن العراقيين في ادارة الدولة وأكثر من العناصر الغير عراقية في الجيش والدواوين والوظائف العامة كما أهمل شؤون العراق وتدهورت أوضاعه الاقتصادية والاجتماعية، وكان من نتائج ذلك أن قامت ثورة في بغداد ضد السلطان أويس سميت تاريخياً بثورة مرجان.

ثورة مرجان في بغداد:

مرجان واسمه الحقيقي أمين الدين مرجان الطوشي شغل منصب رئيس الخدم في عهد الشيخ حسن الجلائري، وبعد تولي أويس السلطنة الجلائرية عينه والياً على بغداد، وبعد أن نقل أويس العاصمة من بغداد إلى تبريز، فإستغل مرجان إمتعاض سكان بغداد والموظفين في إدارته على هذا الإجراء، وأعلن الثورة، وخلع السلطان أويس، واعتبر العراق مستقلاً عن تبريز، ولكي يعزز مرجان والثوار قدراتهم الدفاعية، خوفاً من ان يهاجمه أويس فأرادوا الاستعانة بالمماليك في مصر فاتصل مرجان بالسلطان المملوكي في مصر الأشرف شعبان، وطلب مساعدته وأبلغه عن طريق وفداً من قبله يشرح له الأسباب التي دعته إلى الثورة، وأنه خلع أويس، وأنه أقام الخطبة وضرب السكة بأسم السلطان ببغداد، وإذا نجحت الثورة، فسيكون نائبه فيها، أما إذا فشلت فسيلجأ إلى مصر، فرحب السلطان المملوكي أشرف بالوفد، وبعث إلى مرجان إعلاماً منه، وكتب له تقليداً بالنيابة، والأذن له بدخول مصر إذا ما فشلت الثورة.

أراد أويس تفويت الفرصة على المماليك والسلطان أشرف من أن يقدموا أي دعم عسكري لمرجان، خاصة بعد أن أبدى السلطان أشرف استعداد لارسال الجيش بناءاً على طلب مرجان المساعدة، ولكن أويس سارع نحو بغداد على رأس جيش كبير فوصل أطرافها في أوائل ربيع الأول سنة ٧٦٥هـ/ ١٣٦٤م، واستعد سكان بغداد للمقاومة، مستغلين زيادة المياه في دجلة، فكسروا السدود المقامة على دجلة، فأحاطت المياه بالمدينة لمسافة ٢ ميلاً معرقلين بذلك تقدم الجيش.

وبقيّ أويس أربعين يوماً دون أن يتمكن من القيام بعمل ما، لكن والي مدينة واسط الجلائري أمر بإرسال عدد كبير من السفن بناءاً على طلب أويس لنقل الجنود وايصالهم إلى بغداد، فلما

شاهد مرجان ضخامة الجيش وعدم قدرته واتباعه على المقاومة، طلب مرجان من أويس أن يعفوا عنه وعن اتباعه لقاء تسليم المدينة له دون قتال، وما أن استسلمت المدينة له حتى أقدم أويس على قتل بعض أعيان وأمراء بغداد والقسم الآخر هرب إلى بلاد الشام، وآخرين قبض عليهم وارسلوا إلى تبريز، أما عن مصير مرجان فإن السلطان أويس عفى عنه بشفاعة عدد من امرائه والمقربين من السلطان، ومن أجل استرضاء العراقيين أعفى أويس سكانها من الضرائب لمدة عام كما أنه أعاد مرجان ليتولى حكم بغداد كنائباً من قبله عليه بعد أن تعهد مرجان بالولاء والاخلاص للدولة الجلائرية وذلك سنة ٧٦٩هـ، كما أن مرجان خلال فترة حكمه قدم خدمات جليلة لمدينة بغداد وسكانها.

وأبرز أعمال مرجان وخدماته لبغداد خلال فترة حكمه التي دامت ٥ سنوات هي:

١- الاهتمام بدور العلم والعبادة ومن آثاره المشهورة المدرسة المرجانية التي أوقف لها من الدور والضياع والحوانيت والخانات الشيء الكثير وكتب على الأجر وقفية املاكه على جدران المدرسة.
٢- أنشأ دار للشفاء ((مستشفى))، وأوقف له املاك للصرف عليها.
٣- كانت له الكثير من الخيرات على الفقراء والمساكين.
٤- من كثرة خيراته يقال بان حتى الحيوانات والطيور شبعت على عهده.

الموصل وسنجار تتمرد على الحكم الجلائري:

كانت الموصل وسنجار قد دخلت تحت الحكم الجلائري على عهد الشيخ حسن الجلائري، وكانت الموصل وسنجار تدار من قبل الأمير ايلكا ابن الشيخ حسن الجلائري، ولكن سلطة هذا الأمير كانت ضعيفة مما سهل على سكان هاتين المدينتين الانتفاضة عليه بمساعدة الأكراد والتركمان حتى تمكن أحد الأمراء المحليين ويدعى بدر الدين حسن بن هندو من طرد الجلائريين منها، وان سلطة الأمير بدر الدين امتدت حتى وصلت إلى حدود الرحبه، ولكن سرعان ما انسحب من الرحبه بعد أن هدده المماليك فرضخ لطلبهم بالانسحاب لقاء الاعتراف به كحاكم على الموصل وسنجار.

استمر بدر الدين بن هندو في حكم هاتين المدينتين من سنة ٧٥١هـ وحتى سنة ٧٥٤هـ، ففي هذه السنة أراد بدر الدين بن هندو التوسع فاصطدم بالارانقة حكام ماردين وانتهت المواجهة بينهما بمقتله، وبعد مقتله حدث فراغ في السلطة لم يتمكن الأمراء المحليين من اشغاله لأن الجلائريين ما أن علموا بأمر مقتل بدر الدين حتى ارسلوا جيشاً من قبلهم وتمكنوا به من استعادة الحكم الجلائري على هاتين المدينتين.

وبعد وفاة الشيخ حسن الجلائري سنة ٧٥٧هـ/ ١٣٥٦م فقدت الدولة الجلائرية مرة أخرى السيطرة على مدينة الموصل وسنجار إذ امتنع حاكمي الموصل وسنجار عن تجديد الولاء للجلائريين بعد تقليد أويس منصب السلطنة بعد وفاة والده الشيخ حسن الجلائري ورفضوا طاعته، كما اعلنوا دخولهم في طاعة السلطان المملوكي في مصر وخطبوا له، فرحب السلطان المملوكي بتبعيتهم وخلع عليهم الخلع السلطانية.

ومع محاولة السلطان أويس استعادة السيطرة على الموصل التي تصدت لقواته بكل حزم، وعندما عجز عن استعادتها طلب السلطان أويس من أحد الزعماء التركمان القره قوينلو وأسمه بيرام خواجه الذي كان قد سيطر على أجزاء واسعة من ديار بكر بان يساعده في اعادة الحكم الجلائري على هاتين المدينتين واتفق معه في حال تمكنه في السيطرة على المدينتين سيجعله حاكماً عليها نيابة عنه، وبموجب هذا الاتفاق تحرك بيرام خواجه وتمكن بعد مقاومة شرسة في كلتا المدينتين من السيطرة عليها وليحكمها بعد ذلك باسم الجلائريين.

وعندما حاول بيرام خواجه الاستقلال عن الحكم الجلائري بدفع من السكان المحليين تصدا له السلطان أويس بجيش كبير سنة ٧٧٣هـ/ ١٣٧١م، فاضطر عند ذلك بيرام خواجه على الانسحاب من هاتين المدينتين ليدخلها السلطان أويس ويعيد حكمهما بشكل كامل عليهما.

الصراع على السلطة بين أبناء أويس، وانهيار الدولة الجلائرية:

شهدت الدولة الجلائرية في أعقاب وفاة السلطان أويس سنة ٧٧٦هـ حالة من الفوضى والاضطراب والتفكك بسبب الصراع بين أبناء أويس الخمسة على خلافة والدهم على منصب السلطنة وهم حسن وحسين وشيخ علي وبايزيد وأحمد، وانتهى الصراع بمقتل حسن وتمكن حسين من إعلان نفسه سلطان بعد صراع مرير ومعارضة قوية من قبل باقي الأخوة الذين استمروا في معارضته حتى تمكن أخيه أحمد سنة ٧٨٤هـ من تحشيد جيش بمساعدة عدد من الأمراء الذين كانوا قد انقلبوا على السلطان حسين وتوجه بهم إلى تبريز ليدخلها بغتتاً ويتمكن من قتل السلطان حسين ويجلس مكانه على عرش السلطنة باسم السلطان أحمد.

الأوضاع السياسية في عهد السلطان أحمد وانهيار الدولة الجلائرية:

لم تستقر الأمور للسلطان أحمد فقد عمت الفوضى والاضطراب دولته، واضطر على أثرها إلى خوض سلسلة من المعارك ضد أخيه الشيخ علي الذي كان قد استولى على بغداد وأخيه الآخر الذي استولى على مدينة السلطانية شمال غرب إيران، وبعد عدة معارك تمكن السلطان أحمد أن يهزم الشيخ علي ويقتله ويستعيد الحكم على بغداد وأثر ذلك نقل العاصمة من تبريز التي كانت ضعيفة الولاء له إلى بغداد ومن بغداد أخذ يراسل أخيه بايزيد حتى تمكن من اقناعه بالصلح لقاء احتفاظه بحكم مدينة السلطانية.

ولكن أكبر المخاطر التي واجهت السلطان أحمد الجلائري هو الغزو التيموري للعراق، فكان هذا سبباً في اقناع السلطان أحمد الجلائري أعدائه القره قوينلو الذين كانوا قد استولوا على الموصل على التحالف معه لمواجهة تيمورلنك، لكن هذا التحالف لم يمنع بغداد من أن تسقط بيد تيمورلنك سنة ٧٩٥هـ/ ١٣٩٣م بعد تخاذل السلطان أحمد عن الدفاع عنها وهروبه إلى بلاد الشام، ولكن بغداد لم تكن منتهى طموح تيمورلنك في التوسع بل واصل تقدمه نحو الأناضول تاركاً على بغداد حامية صغيرة وأمير من طرفه ليحكمها بأسمه وهذا ما مكن السلطان أحمد الجلائري من العودة للعراق ودخول بغداد بعد طرد الحامية العسكرية التيمورية منها، لكن تيمورلنك لم يترك السلطان أحمد الجلائري لينعم بحكم بغداد إذ سرعان ما تمكن من أعادة احتلال بغداد سنة ٨٠٥هـ/ ١٤٠٣م وهروب أحمد الجلائري منها.

لم يستمر الحكم التيموري لبغداد طويلاً إذ عاد السلطان أحمد الجلائري مرة أخرى ويسيطر على بغداد بعد وفاة تيمورلنك سنة ٨٠٧هـ/ ١٤٠٥م.

ولكن على عهد السلطان أحمد لم تستقر أوضاع بغداد والدولة الجلائرية، بسبب الصراع الذي نشب بين حلفاء الأمس أي بين السلطان أحمد الجلائري والقره قوينلو ليتلقى السلطان أحمد الجلائري الهزيمة على يد القره قوينلو في معركة قرب مدينة تبريز عند موقع يقال له أسد اباد فعرفت المعركة بمعركة أسد اباد وفيها أنزل القره قوينلو هزيمة ساحقة بالسلطان أحمد الجلائري الذي وقع في الأسر ثم تم قتله وذلك سنة ٨١٣هـ/ ١٤١٠م وبمقتله انهارت الدولة الجلائرية لسيطرة القره قوينلو على املاكها في اذربيجان والعراق، وبهذه السيطرة أو الاحتلال انتهى الحكم الجلائري للعراق واذربيجان.

المحاضرة الخامسة

الدولة التيمورية

أولاً: أصل تيمورلنك ونشأته وتكوين دولته :

ولد تيمورلنك في سنة ٧٣٦هـ/١٣٣٥م في مدينة كش الواقعة في بلاد ما وراء النهر، وينتسب إلى قبيلة برلاس التركية، وكان جده قراجار معاصراً لجنكيزخان امبراطور المغول واميراً في جيشه ووصيا على ابنه جغتاي.

نشا تيمور نشأة اسلامية وصاحب نظرائه من أولاد الامراء والوزراء وتدرب على فنون القتال، فأعجب به حاكم ما وراء النهر الامير قزان وزوجه حفيدته، وألحقه بقواته وجعله زعيما لقبيلته برلاس.

قتل الامير قزان حاكم بلاد ما وراء النهر بسبب الصراعات السياسية على السلطة وبمقتله عمت الفوضى في البلاد، فأعطى ذلك الفرصة لخان مغولستان توغلق تيمور ليقود حملة من بلاده الواقعة في جنوب غرب الصين ويحتل بها بلاد ما وراء النهر المجاورة لبلادة وذلك سنة ٧٦١هـ/١٣٥٩م، وعلى أثرها تقرب تيمور من توغلق خان فكافأه توغلق بان عينه حاكماً على كش، ثم ما لبث تيمور بعد ذلك أخذ يوسع من املاكه بعد أن استغل تيمور ضعف الياس بن توغلق الذي كان والده قد عينه حاكماً على بلاد ما وراء النهر، وعندما اشتكى الياس لوالده من تصرفاة تيمور أمره بقتل تيمور، ولكن تيمور كان نبيهاً فتمكن من النجاة، وأخذ تيمور يجمع الاتباع حوله حتى تمكن في النهاية من دخول مدينة سمرقند مركز الحكم وطرد ما تبقى من عسكر الامير الياس الذي اضطر في النهاية الانسحاب إلى بلاده لا سيما بعد وفاه والده توغلق،

وبهذا الانسحاب يكون تيمور قد توفرت له الفرصه بان تمكن من فرض سيطرته على بلاد ما وراء النهر وإعلان قيام دولته متخذا من مدينة سمرقند عاصمة لها وذلك سنة ٧٧١هـ/١٣٦٩م.

حملة تيمور لنك على بلاد إيران الاسباب

أولاً: الاسباب التي كانت وراء تخطيط تيمورلنك لاحتلال بلاد ايران

١- ان الفوضى السياسية التي عصفت ببلاد ما وراء النهر وما رافق ذلك من حروب واقتتال داخلي في أواخر عهد دولة المغول الجغتائيين وكذلك على عهد توغلق تيمور وابنه الياس، كل ذلك سببا دماراً شاملا لاقتصاد بلاد ما وراء النهر.

٢- وبسبب هذه الحروب التي شهدتها بلاد ما وراء النهر أدى إلى تحول طريق التجارة مع الصين والذي يسمى بطريق الحرير من الطريق الذي كان يمر ببلاد ما وراء النهر الى الطريق الشمالي عبر بلاد التركستان وجنوب روسيا إلى اوربا مما ادى الى حرمان بلاد ما وراء النهر ما كانت تجنيه من فوائد مالية وتجارية من مرور هذه التجارة ببلادها.

٣- وجد تيمور أن أفضل وسيلة لانقاذ بلاده من التدهور الاقتصادي والاقتتال الداخلي هو أن يوجه أتباعه وأركان دولته نحو الغزو الخارجي على أمل إعادة طرق القوافل التجارية للمرور بما وراء النهر، وليحقق ما يحصل عليه من غنائم ليصرفها وتوزيعها على جيشه لاستمرار كسب ولائه وتقويته.

٤- اعتبر تيمورلنك بانه الوريث الشرعي لاملاك دولة المغول الايلخانية التي كانت تحكم بلاد ايران والعراق قبل انهيارها، وانه الاحق في استردادها من الامراء المحليين وضمها لدولته.

ثانيا: حملات تيمورلنك على بلاد ايران واحتلالها خلال الفترة بين (٧٨٢-٧٨٧هـ/١٣٨٠-١٣٨٥م):

بعد أن أطلع تيمورلنك عن طريق جواسيسه على الأوضاع المتدهورة في بلاد ايران التي كانت تتقاسم الحكم فيها عدة امارات، فأمر بتحرك جيشه الذي كان قد هيئه لهذا الغرض، فدخل ايران عن طريق خراسان وفيها حاصر مدينة هراة سنة ٧٨٢هـ/١٣٨٠م بعد أن رفض حاكمها الامير غياث الدين كرت المثول امام تيمورلنك، فاعتبر تيمور عدم حضوره مبرراً له لقتاله، وبعد حصار تيمور لمدينة هراة التي أثبت أميرها غياث الدين بسالة في الدفاع عنها الا أن سكان المدينة من التجار والحرفيين أثرو الخضوع خوفاً على اموالهم وقصورهم من النهب والتدمير فطلبوا من غياث الدين مهادنة تيمور، فإضطر غياث الدين إلى طلب الصلح والانقياد لتيمور، ففرض هذا ضريبة مال الامان على السكان، وصادر خزائن هراة وأمر بهدم أبراج المدينة واسوارها تجنباً لاي تمرد، وأقر غيات الدين في حكم هراة، ونقل مئتي رجل من العلماء والتجار والمهندسين مع عوائلهم إلى سمرقند بهدف الاستفادة منهم في تطوير عاصمته حضاريا وعمرانيا.

وبعد هراة اعلن الأمير علي بن المؤيد أمير السربدارية في مدينة سبزوار الخضوع لتيمور، فأكرمه تيمور وأقره على ولايته، والسربداريه هم طائفة من طوائف الفتوة، ادعو الانتساب الى العلويين واستأثروا بالسلطة في سبزوار الواقعة ضمن اقليم خراسان سنة ٧٣٦هـ/١٣٣٥م، وعلى عهد أميرها علي بن مؤيد توسعت إمارة السربدارية كثيراً في خراسان، وعندما إجتاح تيمورلنك اقليم خراسان اعلن علي بن المؤيد خضوعه لتيمور، وفي عام ٧٨٥هـ/١٣٨٣م اندلعت الثورات في سبزوار وهراة، فوجه تيمورلنك جيشه لإخمادها وتمكن من دخول سبزوار، فأمر بتدميرها، ودفن

جيشه ألفي شخص من سكانها وهم أحياء ليجعلهم عبرة للأخرين أما أميرها علي بن المؤيد فرغم بقاء ولائه لتيمور الا أن تيمور أمر بقتله سنة ٧٨٨هـ/١٣٨٦م ليقضي بشكل نهائي على بقايا السربداريه في خراسان.

اما بقايا حكام خراسان من بلاد إيران ومن الذين سبق لهم أن اعلنوا الولاء لتيمورلنك ثم ما لبثوا ان تمردوا عليه فكان منهم الامير ولي وعلي بك اللذين استوليا على عدد من المناطق التي كان تيمور قد احتلها في خراسان فإضطر تيمور على تجهيز جيش طارد به الامير علي بيك وتمكن من قتله عند قلعة كلات، ثم شرع في مطاردة الامير ولي الذي فر إلى مدينة مازندران الايرانية ومنها إلى مدينة تبريز خوفاً من بطش تيمورلنك له، اما تيمورلنك فبعد هروب الأمير ولي فانه استغل تواجده في ايران بان احتل مازندران وذلك بعد حصار لها سنة ٧٨٦هـ/١٣٨٤م، وقتل المدافعين عنها ثم تقدم نحو مدينة أستراباد فدخلها وقتل سكانها بعد حرق المدينة ثم زحف على منطقة الري واستولى على حاضرتها مدينة ساري.

إندهش السلطان الجلائري أحمد جلائر الذي كان يحكم العراق وشمال غرب إيران واذربيجان من سرعة الانتصارات التي حققها تيمور في غربي ايران، وكان السلطان احمد متواجد في مدينة السلطانية شمال غرب ايران وادراكاً منه بضعف موقفه العسكري في مواجهة تيمور لذلك فترك مدينة السلطانية وانسحب إلى مدينة بغداد مما سهل لتيمور عملية احتلالها، فارسل تيمور قوة من جيشه سرعان ما استسلمت المدينة له، وقد كان صدى سقوط مدينة السلطانية بيد التيموريين عنيفا في مدينة تبريز عاصمة الدولة الجلائرية قبل ان ينتقل منها السلطان احمد الجلائري الى بغداد، فاستغل تيمور اضطراب الأمور في تبريز وتعاون أحد الأمراء الجلائرين معه واسمه سارو عادل،

فزحف تيمورلنك نحو هذه المدينة وتمكن من احتلالها سنة ٧٨٧هـ/١٣٨٥م ثم رجع تيمور بعد ذلك إلى عاصمته سمرقند وبهذا الاحتلال يكون تيمور قد استكمل احتلال ايران وانهاء نفوذ الامارات المحلية فيها إضافة إلى احتلاله مدينة تبريز الأذربيجانية.

حملات تيمورلنك على بغداد:

أولاً: الحملة التيمورية الأولى على بغداد سنة ٧٩٥هـ/١٣٩٣م

دوافع حملة تيمورلنك لاحتلال العراق والعاصمة بغداد سنة ٧٩٥هـ/١٣٩٣م كان متوقعاً لتيمورلنك أن يضع العراق ضمن مخططاته التوسعية بعد أن احتل إيران وذلك للأسباب الأتية:

دوافع الحملة:

أ- تدهور الأوضاع الداخلية:

١- لأهمية موقع العراق الجغرافي كونه مفتاح الطرق إلى بلاد الشام والحجاز ومصر، فمن يسيطر على العراق يصبح له الطريق سالكا إلى هذه البلدان.

٢- يعد العراق ممراً للتجارة من الخليج العربي ومن بلدان مصر والشام الى بغداد وتبريز وسمرقند فتأمين هذا الطريق سيحقق لدولته ازدهاراً اقتصاديا.

٣- الاوضاع المضطربة في العراق على عهد السلطان احمد الجلائري هي الاخرى كانت مشجعه في تحفيز تيمورلنك لاحتلال العراق وما سيحققه من هذا الاحتلال من غنائم ومكاسب اقتصادية وسياسية.

٤- ادراك تيمورلنك من خلال الاخبار التي كانت تصله من جواسيسه هو ضعف الجيش الجلائري وعدم قدرته على المقاومة بسبب ان السلطان احمد الجلائري قتل عدد كبير من قادة جيشه، واعيان رجال الدولة بعد أن شك في ولائهم له، مما سبب ذلك من فتن واضطرابات اضعفت الدولة الجلائريه وجيشها كثيراً.

٥- كما كان تيمورلنك يدرك ان السلطان احمد الجلائري لم يكن رجل دولة، وانه كان منهكا في مجالس اللهو وان سكان بغداد كانوا يكرهونه ويكرهون سياسته التعسفية وما حدثت عدة تمردات ضده مثل حركة تمرد سارو عادل وكذلك تمرد العديد من القبائل العراقية ضده كقبيلة خفاجة والمنتفق والتي بسطت نفوذ على الفرات الاوسط، كما انفصل عنه حاكم تكريت واستقل بالمدينة وأخذ يجبي الضرائب لنفسه من المناطق المجاورة، وفي المناطق الشمالية من العراق لم يعد السلطان أحمد الجلائري سوى النفوذ الاسمي فيها في حين كانت السلطة لقبيلة القره تويلو التركمانية.

٦- مكاتبة بعض أعيان بغداد تيمورلنك يحرضونه ويستحثونه القدوم واحتلال بغداد بعد أن ذاقوا الأمرين من تعسف السلطان أحمد ضدهم.